

يا أهل المغرب !!! تريثوا !!!

بقلم

أبي أنس جواد بنداذا المغربي

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد أرق مضاجعنا وأزعج أسماعنا، ما كان من خبر وفاة أخينا (محسن فكري) رحمه الله وأحسن عزاء أهله، بهذه الطريقة البشعة التي تقشعر منها الأبدان، وما تلى ذلك من أحداث في بلادنا المغرب الحبيب.

وإن المشروع في مناصحة الحكام وولاية الأمور عند رؤية الخطأ والتقصير، هو المناصحة في السر.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى الحل الأمثل في كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف، كما أخرج مسلم في «صحيحه»^(١) عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سألته، فأعرض عنه، ثم سألته في الثانية - أو في الثالثة - ، فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

وأخرج مسلم أيضاً^(٢) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إنا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء الخير شر؟ قال: «نعم» قلت: كيف؟ قال «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». قال: قلت:

^(١) (١٤٧٤/٣)

^(٢) (١٤٧٦/٣).

كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : « تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع ».

وما أعظم هذه الوصية النبوية التي ربا رأي البعض أنها ضعف وسلبية، ولكن من علم أن محمداً هو رسول الله حقاً وأنه يوحى إليه من السماء صدقاً، لم تزد هذه الأحاديث إلا إيماناً وإن لم يستوعبها عقله.

ورضي الله عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال : « إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَظُنُّوا بِهِ الَّذِي هُوَ أَهْدَى ، وَالَّذِي هُوَ أَتْقَى ، وَالَّذِي هُوَ أَهْيَأُ ».

ثم إذا نظر المسلم في حال مصر وتونس والشام، وعلم حقيقة ما آل إليه الخروج على الحكام، وما تبعه من مفسد عظام، هي أعظم بكثير من مفسدة الصبر على ظلم الولاة، زاد يقينه وإيمانه بوصية نبيه الذي لا ينطق عن الهوى.

ومع أنه صلى الله عليه وسلم هو الأكمل عقلاً وشجاعة والأجراً على قول كلمة الحق في وجه الظالم كائناً من كان، نراه يأمر بالصبر على جور الولاة وظلمهم، وما ذاك إلا لأنه قد تناهي إلى علمه الذي علمه الله من فوق سبع سماوات أن هذا هو الأفضل للبلاد والعباد.

ويأتي من بعده أصحابه وتابعوهم فمن بعدهم ، ويقابلون الحجاج الثقفي وخلفاء بني أمية وبني العباس، وكلهم محافظ على تلك الوصية المحمدية، ولسان حالهم : (ستون سنة من إمام جائر أصح من ليلة واحدة بلا سلطان)، وترى من أقوالهم وأفعالهم ما يجعلك تستفيق من إحسان الظن بعقلك حين يقول لك : (ثر مع الثوار وحارب الفجار يأتيك الخير بالقنطار).

فعن عمر بن يزيد، أنه قال : ((سمعت الحسن - أيام يزيد بن المهلب يقول - وأتاه رهط - فأمرهم أن يلزموا بيوتهم ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال : والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا عليه، ما لبثوا أن يرفع الله - عز وجل - ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، والله ما جاؤوا بيوم خير قط))، ثم تلا : (وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ).

وسمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج، فقال: "لا تفعل - رحمك الله -، إنكم من أنفسكم أُتِيتُمْ، إنما نخاف إن عُزل الحجاج أو مات: أن تليكم القردة والخنازير، ولقد بلغني أن رجلاً كتب إلى بعض الصالحين يشكو إليه جور المال فكتب إليه:

(يا أخي! وصلني كتابك تذكر ما أنتم فيه من جور العمال، وإنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أظن الذي أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب والسلام) اهـ.

وعن مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله: ((أنا الله مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك، ولكن توبوا أعطفهم عليكم)) اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، والذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء، وغاية هؤلاء إما أن يَغلبوا وإما أن يُغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، فإن عبد الله بن علي، وأبا مسلم، هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزِموا وهُزِم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً، ولا أبقوا ديناً، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر قال: كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصوت إنسان فكدت أطيّر

أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء.

وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون).^(٣)

وكان طلق بن حبيب يقول: "اتقوا الفتنة بالتقوى"، ف قيل له: أجل لنا التقوى، فقال: "أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عذاب الله".^(٤)

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث.

ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ع، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين... ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ع في هذا الباب، واعتبر أيضاً اعتبار أولى الأبصار، علِمَ أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور" اهـ.^(٥)

وقال أيضاً: "فيتفق أن بعض الولاة يظلم باستئثار فلا تصبر النفوس على ظلمه، ولا يمكنها دفع ظلمه إلا بما هو أعظم فساداً منه، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله، ولهذا قال النبي ع: "إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك وأسيد بن حضير م أن رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، قال: "ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" وفي رواية للبخاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يُقَطَّعَ لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، فقال: "أما لا؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٧).

ستصيبكم أثره بعدي"، وكذلك ثبت عنه في الصحيح أنه قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة في يسره وعسره ومنشطه ومكرهه وأثره عليه"، وفي الصحيح عن النبي ﷺ عن عبادة قال: "بايعنا رسول الله ع على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم".

فقد أمر النبي ع المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاية أمورهم وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر، وكثير ممن خرج على ولاية الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار، ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظاناً أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حركه عليه طلب غرضه: إما ولاية وإما مال كما قال تعالى: (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنعه من ابن السبيل، يقول الله له يوم القيامة اليوم: أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك، ورجل بايع إماماً لا يباعه إلا لدينا إن أعطاه منها رضى وإن منعه سخط، ورجل حلف على سلعة بعد العصر كاذباً لقد أعطى بها أكثر مما أعطي".

فإذا اتفق من هذه الجهة شبهة وشهوة، ومن هذه الجهة شهوة وشبهة قامت الفتنة، والشارع أمر كل إنسان بما هو المصلحة له وللمسلمين، فأمر الولاية بالعدل والنصح لرعيته حتى قال: "ما من راع يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة".

وأمر الرعية بالطاعة والنصح كما ثبت في الحديث الصحيح: "الدين النصيحة ثلاثاً" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

وأمر بالصبر على استئثارهم ونهى عن مقاتلتهم ومنازعتهم الأمر مع ظلمهم، لأن الفساد الناشئ من القتال في الفتنة أعظم من فساد ظلم ولاية الأمر فلا يزال أخف الفسادين بأعظمهما ومن تدبر

الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ع واعتبر ذلك بما يجده في نفسه وفي الآفاق، علم تحقيق قول الله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) "اهـ- (٤)

وإن من أعظم النعم على العبد بعد نعمة الإيـان: نعمة الأمن والأمان، حتى قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، لأن الإنسان إذا أصابه الخوف والذعر شغل عن كل ما ينفعه من معاش وأرزاق، وربما هجر وطنه وترك أرضه، وحمل السلاح على أخيه فقتله، أو كان هو المقتول، ورضي الله عن معاوية بن أبي سفيان حين قال: "إياكم والفتنة، فلا تهمموا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستئصال".

وإن من أعظم وسائل فقد الأمن ونشر الفوضى في هذا الزمان، تلك المظاهرات الغربية، التي استوردها المسلمون من أعداء الله الذين يريدون أن تعم الفوضى والخراب في بلاد المسلمين.

وقد أجمع من يُعتمد بقوله من أهل العلم في هذا الزمان على أنها محرمة ووسيلة غير شرعية، ودل العقل السليم على أنها أيضاً وسيلة غير مجدية.

فإن هذه المظاهرات مشابهة للكفار وأعداء الله في طريقة إنكارهم على حكامهم بما يخالف الوصية النبوية التي تقدم ذكرها، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾، وقال ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم".

وفيها ما الله به عليم من إثارة الفتن والقلاقل وحرق المساكن والمتاجر وتدمير السيارات والمنشآت، وسفك الدماء، ورفع ألوية الكفر من علمانية وشيوعية واشتراكية، ورفع الصليب إلى جوار القرآن، والاختلاط المحرم بين الرجال والنساء، والسب والشتم واللعن، وتعطيل مصالح الدولة والاضرار باقتصادها، وتحقيق هدف الكفار بإسقاطها وتمزيقها.

ولا غرابة أن يخترع من لا دين له ولا نبي يرشده طريقة من عند نفسه يعالج بها فساد مجتمعه وحكامه، أما أصحاب الدين الحق والنبي الخاتم فقد كفاهم نبيهم ذلك.

ولكن الغريب أن ترى بعض من ينتسبون للإسلام يبررون مثل هذه الطريقة الغوغائية الفوضوية، ويبرهن عليها بأدلة شرعية، ويلبسها لباس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد نسي المسكين أن من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ألا يترتب عليه مفسدة أعظم من السكوت، وأن المنكر إن كان يزول بمنكر أعظم منه لم يجز إنكاره.

وأي منكر من إراقة الدماء المعصومة وترميل النساء الصبايا، وتيتيم الأطفال الرضع، وهتك أعراض الأبقار؟

وقد سئل العلامة محمد الصالح بن عثيمين - رحمه الله - : هل تعتبر المظاهرات وسيلة من وسائل الدعوة المشروعة؟

فقال: " الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد : فإن المظاهرات أمر حادث لم يكن معروفاً في عهد النبي ع ولا في عهد الخلفاء الراشدين يثم إن فيه من الفوضى والشغب ما يجعله أمراً ممنوعاً حيث يحصل فيه تكسير الزجاج والأبواب وغيرها ويحصل فيه أيضاً اختلاط الرجال بالنساء والشباب بالشيوخ وما أشبه من المفاسد والمنكرات.

وأما مسألة الضغط على الحكومة فهي إن كانت مسلمة فيكفيها واعظاً كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ع وهذا خير ما يعرض على المسلم، وإن كانت كافرة فإنها لا تبالي بهؤلاء المتظاهرين وسوف تجاملهم ظاهراً وهي على ما هي عليه من الشرخ الباطن، لذلك نرى أن المظاهرات أمر منكر.

وأما قولهم أن المظاهرات سلمية فهي قد تكون سلمية في أول الأمر أو في أول مرة ثم تكون تخريبية، وأنصح الشباب أن يتبعوا سبيل من سلف فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على المهاجرين والأنصار وأثنى على الذين اتبعوهم بإحسان" اهـ. (٥)

وقال العلامة المحدث أحمد بن يحيى النجوى - رحمه الله - في كتابه "المورد العذب الزلال" في انتقاده على جماعة الإخوان المسلمين:-

" الملاحظة الثالثة والعشرون: تنظيم المسيرات والتظاهرات، والإسلام لا يعترف بهذا الصنيع ولا يقره بل هو محدث من عمل الكفار وقد انتقل من عندهم إلينا.

أفكلما عمل الكفار عملاً جاريناهم فيه وتابعناهم عليه. إن الإسلام لا ينتصر بالمسيرات والتظاهرات ولكن ينتصر بالجهاد الذي يكون مبنياً على العقيدة الصحيحة والطريقة التي سنّها محمد بن عبد الله ع ، ولقد ابتلى الرسل وأتباعهم بأنواع من الابتلاءات فلم يأمرُوا إلا بالصبر ، فهذا موسى عليه السلام يقول لبنى إسرائيل رغم ما كانوا يلاقونه من فرعون وقومه من تقتيل الذكور من المواليد وإستحياء الإناث ، يقول لهم : ما أخبر الله به عنه (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ، وهذا رسول الله ﷺ يقول لبعض أصحابه لما شكوا إليه ما يلقونه من المشركين: " إن من كان قبلكم كان يؤتى بالرجل منهم فيوضع المنشار في مفرقه حتى يشق ما بين رجله ما يصدده ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " البخارى وغيره، فهو لم يأمر أصحابه بمظاهرات ولا اغتيالات " اهـ.^(٦)

وسئل العلامة ابن باز - رحمه الله - : هل من المظاهرات الرجالية والنسائية ضد الحكام والولاة تعتبر وسيلة من وسائل الدعوة وهل من يموت فيها يعبر شهيداً ؟ .

فقال: " لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج ولكني أرى أنها من أسباب الفتن ومن أسباب الشرور ومن أسباب ظلم بعض الناس والتعدي على بعض الناس بغير حق ولكن الأسباب الشرعية، المكاتبة، والنصيحة، والدعوة إلى الخير بالطرق السليمة الطرق التي سلكها أهل العلم وسلكها أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأتباعهم بإحسان بالمكاتبة والمشافهة مع الأمير ومع

السلطان والاتصال به ، و مناصحته والمكاتبة له دون التشهير في المنابر وغيرها بأنه فعل كذا وصار منه كذا، والله المستعان".

وقال أيضاً رحمه الله: "فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله أو إثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي تسبب شراً عظيماً على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والاحتفالات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس، والأمير وشيخ القبيلة بهذه الطريقة، لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم - مكث في مكة ١٣ سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر بالدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضاداتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب ولكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولوطالت المدة أولى به من عمل يضر بالدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله".^(٧)

وقال - رحمه الله - في نصيحته لعبدالرحمن عبدالخالق:

" ذكرتم في كتابكم : (فصول من السياسة الشرعية) ص ٣١ ، ٣٢ : أن من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة للتظاهرات (المظاهرة) ، ولا أعلم نصاً في هذا المعنى ، فأرجو الإفادة عمن ذكر ذلك؟ وبأي كتاب وجدتم ذلك؟

فإن لم يكن لكم في ذلك مستند ، فالواجب الرجوع عن ذلك ؛ لأنني لا أعلم في شيء من النصوص ما يدل على ذلك ، ولما قد علم من المفاصد الكثيرة في استعمال المظاهرات ، فإن صح فيها نص فلا بد من إيضاح ما جاء به النص إيضاحاً كاملاً حتى لا يتعلق به المفسدون بمظاهراتهم الباطلة.

(٧) كلا القولين مفرغ من مادة مسجلة نقلاً عن شريط بعنوان: "مقتطفات من أقوال العلماء".

نسأل الله أن يجنب بلادنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يحقن دماء المسلمين، ويحفظ أعراضهم،
وأموالهم، ويديم عليهم الأمن والأمان.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.